تنظيم «القاعدة» من الداخل كما يروي ابو جندل (ناصر البحري).. الحارس الشخصي لبن لادن (6)

تكفيري سوداني اسمه ابو الشعثاء تهجم على الشيخ في مجلسه.. وبن لادن كان يردد «الشهادة ولا الأسر»

زعيم القاعدة لا يعاني من أمراض مزمنة.. وعنده مشكلة في الحبال الصوتية... يكره النفاق والكذب ويحب الصراحة

اجرى الحوار: خالد الحمادي*

بعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001 كُتب الكثير والكثير وبعدة لغات عن تنظيم (القاعدة) الذي يتزعمه أسامة بن لادن، غير أن تلك الكتابات كلها كانت من خارج التنظيم ولم تعد أن تكون مجرد اجتهادات صحافية أو استندت على تقارير استخباراتية، قد يصيب بعضها ولكن قد يخيب أغلبها.

ولذا حاولت «القدس العربي» التميزّ والاقتراب من ذلك بإجراء هذه السلسلة المطولّة من هذه اليوميات والذكريات للحارس الشخصي السابق لأسامة بن لادن، المعروف بلقب (أبو جندل) واسمه الرسمي ناصر البحري، والذي حاولنا من خلاله فتح الأبواب المغلقة، وزيارة المملكة المحظورة، تنظيم (القاعدة)، والغوص في أغواره من الداخل عبر واحد من أهم العناصر التي تكتنز معلومات عميقة عنه وعن تركيبته التنظيمية.

وأبو جندل شاب غزير الثقافة، شديد الذكاء، محاور جيد، سريع البديهة، يبهرك بطرحه القوي كلما حاولت محاصرته بالاسئلة، ويتمتع بذاكرة حديدية، وفوق هذا كله مفتول العضلات، ولذا ربما كان اختياره لحراسة أسامة بن لادن ليس من قبيل الصدفة ولم يأت من فراغ.

عاد من أفغانستان إلى اليمن قبيل عملية تفجير المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن عام 2000 بحوالي شهرين، ألقي القبض عليه عقب ذلك وأمضى في السجن اليمني سنة و10 أشهر، منها 13 شهرا في السجن الانفرادي.

يعيش حاليا حرا طليقا في البلد التي ينحدر منه وهو اليمن، وتحديدا في عاصمته صنعاء، ويمارس حياة طبيعية فيها، يتجول بحرية في شوارعها ويمارس نشاطه المهني بكامل إرادته، غير أنه ربما ليس حرا من أعين (الرقيب) المحلي والخارجي، حيث يعيش تحت الإقامة الجبرية في العاصمة صنعاء ومحضور عليه الانتقال للعيش في المناطق اليمنية الأخرى، كما أن اتصالاته تحت الرقابة الدائمة.

بعد محاولات متواصلة استمرت ستة أشهر لفتح هذه الملفات، تعاقبت خلالها عمليات رفض مستمرة من قبل الأجهزة الأمنية لذلك، ثم الموافقة المبدئية أحيانا والرفض أحايين أخرى، حتى تمكنا من اقتناص هذه الفرصة لإجراء هذه السلسلة من الحلقات التي تبحر بالقارئ في محيطات تنظيم (القاعدة) وتغوص به في أعماق زعيمه ومؤسسه أسامة بن لادن، ابتداء من التنشأة والبيئة الدينية التي تربى عليها في السعودية، مرورا بحياته في السودان ونشاط التنظيم في إفريقيا، وانتهاء بحياته الشخصية وحياة التنظيم وعناصره في أفغانستان حيث استقر التنظيم والمنظمّ فيها حتى اليوم والتي اتخذ منها منطلقا لتنفيذ أبرز وأخطر العمليات العسكرية غير الحكومية، التي تسميها أمريكا (إرهابا) وتسميها القاعدة (جهادا)، والتي شكلت منعطفا هاما في السياسة الدولية.

في هذه الحلقة سيتحدث أبو جندل عن مهماته العسكرية كحارس شخصي لأسامة بن لادن، وعن الحياة الشخصية والاجتماعية لزعيم تنظيم (القاعدة) وطبيعتها.

تكفيري اسمه ابو الشعثاء

■ متى بالضبط تم اختيارك لتكون الحارس الشخصي لأسامة بن لان؟

■ اخترت لأكون الحارس الشخصي للشيخ أسامة بعد اكمالي جميع التدريبات ومشاركتي في هذه المهمات ومن ضمنها العمل ضمن مجموعة الحراسة الخاصة به لفترة طويلة، حيث اخترت بعدها حارسا شخصيا له ومتفرغا لهذه المهمة.

■ كيف تمت عملية اختيارك لمهمة الحراسة الشخصية لابن لادن، وهل كانت مهماتك السابقة عبارة عن فترات تمحيص لاختبارك خلالها؟

■ كل هذه المهمات ساهمت في تعزيز الثقة بيني وبينه وفي الاقتناع بقدراتي، ولكن عملية اختياري تمت بعد حادثة وقعت عندما كنت حينها ما زلت ضمن مجموعة الحراسة الخاصة به، حيث تصرفت فيها تصرفا عفويا ربما برهن مدى انتباهي ولفت انتباه الشيخ أسامة بشكل كبير، ومن حوله من القادة المصريين مثل الأخ سيف العدل، وتفاصيل هذه الحادثة، كنا جالسين في قندهار وجاء رجل من التكفيريين يقال له ابو الشعثاء السوداني وفي مجلس الشيخ أسامة ومن معه بدأ يتهجم على الشيخ أسامة بطريقة غير مؤدبة، ولأني كنت كثير الحركة والتنقل في قندهار عرفتُ الرجل وأيقنت بأنه من جماعة التكفير والهجرة. اقترب أبو الشعثاء من الشيخ أسامة، فقلت له «يا شيخ أبو عبد الله (أسامة) اسمح لي أجلس الى جوارك»، فقال لي «لا ما في داعي»، فأصْرَرْتُ عليه وألحَحْتُ على طلبي لأني خفت على الشيخ أسامة من الرجل، من كثرة حبي العميق له، حتى أني بعد فترة لم أكن أدعوه يا شيخ بل كنت أدعوه: ياخال؛ وفي الأخير بعد كثرة اصراري والحاحي قال لي: تعال خلف هذا الباب الذي بجواري، فذهبت الى خلف الباب وطوال الوقت وأنا متوقع أي تحرك من هذا التكفيري السوداني باتجاه الشيخ أسامة سواء بمحاولة اغتياله أو الاعتداء عليه، وكان الشيخ أسامة كذلك واضعاً يده على سلاحه أثناء حديثه مع الرجل توقعا لأي شيء يصدر من التكفيري، وخلال ذلك أبدى السوداني تصرفا غريبا ومدّيده باتجاه الشيخ أسامة فلم أشعر بنفسي الا وقد اندفعت بقوة وألقيت بجسدي على التكفيري السوداني وكتّفته وربطّته وجلستُ فوقه، حتى عجز عن الحركة، فأصبح يستغيث من تحتي ويقول باستغاثة أنا لم أعمل شيئاً ولم أفعل شيئاً، فرددت عليه أصمت، لا تتكلم والا سأقلع رأسك من عنقك، حتى أن الشيخ أسامة ضحك وقال يا أبو جندل أترك الرجل، أتركه في حاله، وبعدها قال لي خذه من هنا وأخرجه لمكان بعيد، فأخرجته. هذا التصرف السريع والقوي لفت انتباه الشيخ اسامة كما لفت انتباه الأخوة القياديين المصريين لهذه السرعة في تصرفي، ومنذ ذلك اليوم قرر الشيخ أسامة منحي مسدسا وأكون حارسه الشخصي، وكانت في هذا المسدس طلقتان فقط، لتصفية الشيخ بهما في حال حوصرنا أو وقعنا في أيدي العدو، حتى لا يصل اليهم حيا.

■ هل أعطاك بن لادن صلاحية بقتله في مثل هذه الأحوال؟

■ نعم أعطاني الشيخ أسامة صلاحية بقتله بهذا المسدس وكنت الوحيد من حراسه الذي مُنح هذه الصلاحية أو هذا الأمر، وكنت أعتني بهاتين الطلقتين وأنظفهما مساء كل يوم وأقول: هاتان طلقتا الشيخ أبو عبد الله (أسامة) الله لا يجعلني استعملهما، والحمد لله استجاب الله دعائي فلم أضطر لاستعمالهما. وكانت التدابير الأمنية أنه اذا حاصرت قوات العدو الشيخ أسامة ولم نجد مفرا أو سبيلا للهرب منهم أقوم بقتله وتصفيته جسديا قبل أن يصلوا اليه حيا، وحتى يأخذوه جثة هامدة. ولذا كنت خلال فترة حراستي الشخصية له التي امتدت لأكثر من ستة أشهر أقف خلف ظهره على الدوام وأكون ملازما له على مدار الساعة، أذهب معه حيثما ذهب، وأتحرك معه الى أي مكان تحرك اليه، الا في أوقات محدودة جدا.

■ هل كان بن لادن خائفا من شيء معين يخشى أن يحصل عليه أعداؤه وخصوصاً الأمريكيين ويصلوا الى ما يحمل من أسرار؟

■ لا لم يكن خائفا من شيء معيّن، ولكنه نوع من الاحتياط الوقائي؛ فموقع الشيخ أسامة واتخاذه لقرار الجهاد ضد الأمريكان وأصبح رمزا للأمة من منظار وقوفه في وجه المدفع الأمريكي دفاعا عن الأمة الاسلامية، فاذا حصل للشيخ أسامة شيء ورآته الأمة أسيرا فانها ستصاب بالهزيمة النفسية والمعنوية، لكن اذا أُخذ بعد قتله فانه سيصبح عند الناس شهيدا وليس أسيرا، وستتحول دماؤه الى شعلة توقد الهمة والحماسة لدى أتباعه ومحبيه، وأذكر أنه كان يقول في هذا الصدد «الشهادة ولا الأسر» وكانت هذه وجهة نظره الصريحة.

■ من خلال عملك كحارس شخصي لأسامة بن لادن، ما هي المهمة التي كنت مكلفا بها، هل الدفاع عنه فقط، أم كانت هناك مهمات أخرى تقوم بها؟

■ كانت الركيزة الأساسية لمهمتي الدفاع عن الشيخ أسامة، ولكن كنت أحيانا أمثّله اذا كلفني بمهمة مّا الى المواقع والمعسكرات التابعة لتنظيم (القاعدة)، وكنت أُعتبر مندوبا عنه وأُمثّله في ذلك المكان، وبالذات في مجال النقاش والحوار، حيث كان الشيخ يكلفني في بعض الأحيان بمهمة زيارة تلك المواقع لاقناع البعض بالقضايا التي تثير حساسية معينة بينهم، وكنت أحيانا أدرس تلك المشاكل وأسبابها وأقترح لها الحلول واضعها بين يدي الشيخ أسامة ليتخذ قراره بذلك وكانت هذه المهمات هي التي تبعدني أحيانا عن ملازمة الشيخ أسامة.

تقشف في الحياة

■ ما هي طبيعة هذه المشاكل التي كانت تثار بين أعضاء تنظيم (القاعدة)؟

■ في الحقيقة كانت أحيانا تثار نعرات قُطرية بين عناصر التنظيم لسبب أو لآخر، حيث كان المصريون يتباهون بمصريتهم، وكان السعوديون يتباهون بذاتهم وكان اليمنيون كذلك كما السودانيين وأبناء المغرب العربي وغيرهم، فكان الشيخ أسامة ينزعج كثيرا من ذلك ويرسلني اليهم لازالة الفجوة بينهم ويقول حاول اذابة هذه النعرات من بينهم، لأن أعداء الله ومرضى النفوس والمخبرين العرب وغيرهم يستغلون هذه الأمراض الجاهلية، لزرع بذور الخلافات والفتن بين عناصر التنظيم.

■ هل كنت تلعب دور الناطق الرسمي باسم بن لادن؟

■ لا، لم أكن كذلك، ولكني كنت أعتبر نفسي من تربية الشيخ أسامة وأنه هو من رباني التربية الصحيحة، وأضعه في مقام والدي، فكنت أرى أنه اذا أردنا مواجهة هذا العدو الضخم أو هذه الجبهة الكبيرة المضادة لنا ـ أمريكا ـ فلا بد من ألفة وتعميق جذور المحبة بيننا، وازالة هذه النعرات، وكان الشيخ لا يتدخل في مثل هذه المشاكل وكثيرا ما كنت أتدخل لحلها من ذات نفسي وبطريقتي الخاصة، دون ابلاغ الشيخ بذلك، لأني كنت أنظر لموقعي بأني أنا أسامة بن لادن، أنا تنظيم القاعدة، أنا الأمة الاسلامية.

■ من خلال عملك معه، كيف تصف الحياة الشخصية لأسامة بن لادن؟

■ لا أستطيع أن أقول أكثر مما قاله الشيخ عبد الله عزام، رحمه الله، في وصيته عن أسامة بن لادن، حيث قال: أوصيكم بأسامة بن لادن خيرا، فانه أمة في رجل. والشيخ أسامة فعلا رجل يحمل قضية أمة، وما كنت في أي يوم من الأيام أراه يهتم بلباسه أو بنوع مقتنياته الخاصة، كان الرجل بسيطا جدا الى أبعد مدى، حتى تعامله مع الشباب، كان يأكل معنا ويشرب معنا ويجلس معنا. وأذكر أنه كان هناك حصار اقتصادي علينا عقب حادثي تفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام في العام 1998 فواجهنا نوعاً من الأزمة المالية، وفي يوم من الأيام كنت أميرا على مجمع مطار قندهار، وكان المجمع فارغا، حيث خرجت العائلات منه الى مدينة قندهار، فجاء الشيخ أسامة يزورنا وسألنا: ما هو غداؤكم اليوم؟ فأجبته: أرز وبطاط، فقال ما شاء الله، أنتم أغنى منا. قلت كيف أغنى منكم، قال: غداؤنا اليوم خبز وزبادي!!، كان يعيش على هذه الحياة البسيطة جدا. وأذكر أني قلت له يا شيخ الأمور اشتدت على الشباب وأنا هنا مسؤول على أكثر من 40 شخصاً بين عرب وأفغان، وليس لدينا مال ولا أي شيء نقتات منه، فضحك وقال لي: يا ابني يا جندل نحن لم نصل حتى الآن المرحلة التي وصل اليها الصحابة حين شدوا على بطونهم بالحجر والرسول (عليه الصلاة والسلام) بالحجرين، فنظرت اليه وقلت له يا أبو عبد الله أولئك قوم نظر الله لايمانهم فابتلاهم بذلك الابتلاء، لكن نحن ضعفاء، فالله لن يبتلينا بنفس ذلك الابتلاء، فقال لي باستهجان تقول هذا الكلام؟ فقلت نعم، لأن أولئك من قوة ايمانهم امتحنهم الله، أما نحن أصحاب ذنوب ومعاص، لا يمكن أن يبتلينا بنفس ذلك الابتلاء، فضحك الشيخ أسامة. فتخيلّ ان رجلا بهذه الامكانيات وهذه الأموال وهذه القضية وهذه الزعامة يجلس ويأكل معك الأرز والبطاطا. وأذكر أننا في فترة من الفترات التي مرت علينا كنا نأكل الخبز اليابس والماء فقط، وكان الشيخ أسامة يأخذ الخبز اليابس ويغمسه أو يفتّه في الماء ويقول: الحمد الله، نحن الآن نأكل هذا الأكل ويوجد غيرنا ملايين يتمنون أن يجدوا مثله ولم يجدوا. فحقيقة ما كنا نشعر بالخوف، أو بأي شيء طالما نحن مع هذا الرجل، نأكل معه ونمشي معه، وحبنا للشيخ أسامة ينطلق من منطلق أننا جُعنا معه وشبعنا معه، خفنا معه وشعرنا بالأمان معه، بكينا معه وفرحنا معه، وجمعنا مصير واحد، وعشنا حياة كاملة معه بدون تمييز، حيث كان الرجل بسيطا وبسيطا جدا جدا في معاملاته وفي كل شيء في حياته، ورغم ذلك يحمل همّ الأمة، ويحمل دهاء، كان الرجل داهية ولم يكن بسيطا في هذا الجانب. وكان أسلوبه في الحياة وبساطته وطريقة تعامله مع الآخرين، وردود فعله المتسامحة على مهاجميه جعلت جميع من حوله يحبون هذا الرجل حبّا شديدا. وأذكر من هذه المواقف أن أبو الشعثاء السوداني الذي حاول الاعتداء على الشيخ أسامة في قندهار، خرج بعد ذلك وأصدر بيانا ضد بن لان وكفّره وأعلن أنه زنديق وخارج عن الملة الاسلامية، فما كان من الشيخ أسامة الا أن سامحه وأمر باعطائه 200 دولار عندما رغب في الخروج من أفغانستان، رغم كل ما عمله ضد الشيخ وكل الشكوك حول السوداني وحول طبيعة تصرفاته. فحياتنا مع الشيخ أسامة وعقليته النظيفة وتسامحه الجم وطرحه وحواره مع الناس عمّق لدينا حبّه وتعلقنا الشديد به، وكان كرمه الحاتمي مع الآخرين، صفة ملازمة له ومتجذّرة فيه، فأبدا أبدا أبدا ما جاء أحد الى الشيخ أسامة وقال له أنا محتاج وأرجعه الشيخ خاليا. وأذكر في هذا الصدد أننا كنا نمر بأزمة مالية شديدة فجاءه أحد الأخوة العرب الذين يرغبون بالسفر وشرح له ظرفه الصعب فدخل الشيخ الى داخل بيته واخرج آخر ما كان بحوزة عائلته وأعطاها هذا الرجل، وكانت في حدود 100 دولار، وكنت أعلم بوضع الشيخ المالي فقلت له يا أبو عبد الله، لما ذا لم تبق لنا جزءا من هذا المبلغ، فالحضور هنا أولى بالمسافرين، فقال أمرنا سهل سيعطينا الله، لا تحمل هم رزقنا لن يضيع، فظل ونحن معه حوالي خمسة أيام بعد هذه الحادثة لا نأكل الا من ثمار أشجار الرمان التي كانت بحديقة البيت التي كان يسكنها، على الرغم من أنها لم تكن ناضجة، كنا نأكل الرمان مع الخبز فقط، في وجباتنا الثلاث. لذا أعتقد أن الله رفع ذكر أسامة بن لادن، رغم غناه وثراه الكبير، بتواضعه وبحُبه لما عند الله وايثاره للآخرة عن الدنيا.

■ معروف أن بن لادن ملياردير، فكيف يصل به الحال الى درجة الفقر أو العدم، أين أمواله؟

■ كانت للشيخ أسامة نظرة خاصة بالتعامل مع الأموال، ولذا فضلّ أن يعيّش نفسه وأتباعه بأقل التكاليف وعلى أدنى مستوى، حتى يستطيعوا تحمل الصعاب وتجاوز الأزمات مهما بلغت، ولذا سلك طريق التقشف والزهد في الدنيا كسبيل تربوي للبقاء أطول فترة ممكنة؛ لأن هناك الكثير من التنظيمات بما فيها الجهادية اختُرقت عن طريق الأموال، والترف، لأن عناصر تلك التنظيمات مترفون ولم يتمكنوا مواجهة قساوة الحياة.

■ هل كانت حياة التقشف تشمل أهله وأولاده؟

■ نعم، حتى أهله وأولاده كان يتعامل معهم بنفس المستوى، وكان يربي أولاده على الحياة البسيطة والاعتماد على أنفسهم في كل شيء. وأذكر أنه عندما كنا في مجمع مطار قندهار جاءه ابنه سعد وقال له يا أبي أريد أن أتزوج، فأجابه الأب وأنا ما يخصني في هذا الأمر، اعتمد على نفسك، قال له كيف أعمل؟ فأجابه هذه قطعة أرض وهذه ميزانية أحرثها ومن محصولها وفّر تكاليف الزواج. وفعلا حرث الولد الأرض بنفسه وزرعها وكان أبوه مجرد مستشار له، وبذلك اعتمد على نفسه بالحصول على تكاليف الزواج. فكان الشيخ أسامه يعطي لكل واحد من أبنائه قطعة أرض زراعية ويعطيه ميزانية ويقول له أحرث هذه الأرض واحصل على دخلك من محصولها، وكان أبناؤه يعتمدون في حراثة هذه الأراضي على أنفسهم، من البداية حتى الحصاد، ومن ثم بيعها للأسواق. فكان بن لادن يعوّد أولاده على تحمل المسؤولية ليعتمدوا على أنفسهم، وليس على ملايين والدهم، وكنت أسمعه يقول لأبنائه: يا أولادي ان ملايين أبيكم التي تسمعون عنها، ليست حق أبيكم ولكنها أموال المسلمين، أوقفتها لله وفي سبيل الله، وليس لكم فيها ريال واحد؛ وكل واحد فيكم رجّال يساعد ويعتمد على نفسه، وفعلا أولاده اشتغلوا وأصبح لكل واحد منهم دخله الخاص من عمله ومن عرق جبينه، وهذا نوع من الحياة التي كان الشيخ أسامة يعوّد أولاده عليها.

■ عندما كنتم في مجمع قندهار، هل كان بن لادن يعيش أغلب وقته مع أعضاء تنظيم (القاعدة) أم مع زوجاته الثلاث اللواتي كن يعشن معه في ذات المكان؟

■ كنت أعيش معه أغلب الوقت، بحكم أني حارسه الشخصي، وحيثما تنتقل معه أسرته تنتقل معه كذلك مجموعة الحراسة الشخصية له، التي كانت تتكون بين 14 الى 16 شخصا، وكان عندما يتجه الى كابول مثلا، يتحرك بمفرده بموكب مع مجموعة الحراسة، وعائلته من زوجاته وأولاده كانت تجتمع في حافلة الأولى أم عبد الله السورية الأصل عندما كان مازال في العشرينات من العمر، أما بقية زوجاته فقد تزوجهن جميعا بعد بدء حياته الجهادية. واعرف أن زوجته أم خالد من بيت الشريف وكانت شقيقة لأحد رفقائه في الجهاد، حيث عرض عليه الزواج منها فوافق.

زوجة يمنية

■ وما ذا بشأن زوجته اليمنية، يقال أنه كان لك دور في ترتيب زواجه منها؟

■ بالنسبة لزواج الشيخ أسامة من زوجته الأخيرة اليمنية أمل السادة، فقد قام بالتمهيد الأولي لذلك أخ يمني، لم أتمكن من التعرف عليه، وكانت مهمتي في ذلك فقط أخذ مبلغ المهر من الشيخ أسامة وايصاله لأهل العروس، حيث أعطاني الشيخ مبلغ خمسة ألف دولار وقال لي سلّمه الى فلان في اليمن، وهو الذي أوصلها لأسرة العروس، ولم أكن اعرف حينها أن هذا المبلغ هو مبلغ المهر لعروس الشيخ أسامة، ولم أعرف ذلك الا بعد فترة، وعندما قررت العودة الى أفغانستان طلب مني الأخوة أخذ عروس الشيخ أسامة مع محارمها معي، وتأخرت لذلك الغرض أكثر من شهرين في اليمن، اضطررت بعدها السفر الى أفغانستان لعدم قدرتي الصبر أكثر من ذلك، فلحقوني بعد ذلك بشهر، وأقمنا للشيخ حفلة عرس رائعة في قندهار، شارك فيها الجميع بما في ذلك أولاده وزوجاته، وامتزجت فيها الأناشيد والأهازيج الحماسية بأصوات الرصاص.

■ هل أنجبت منه زوجته اليمنية أطفالا؟

■ في الحقيقة غادرت أفغانستان بعد وصول زوجته اليمنية بنت السادة الى قندهار بحوالي أسبوع، وكانت تلك مغادرتي النهائية، ولكني فيما بعد سمعت أنها أنجبت له بنتا.

■ مع حدوث كل هذه الملاحقات لأسامة بن لادن وعناصر تنظيم (القاعدة) هل سمعت أن زوجاته بقين معه أم رجعن الى أوطانهن؟

■ بعد خروجي النهائي من أفغانستان الذي كان قبل حادث تفجير المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن عام 2000 بحوالي شهرين، سمعت أن جميع زوجاته بقين معه في أفغانستان ما عدا زوجته الأولى أم عبد الله التي خرجت قبل الأحداث ولم تستطع الرجوع مرة أخرى.

■ كم عدد أبناء أسامة بن لادن من جميع زوجاته؟

■ لا أعرف ذلك على وجه الدقة، لكثرتهم، ولكن الذي أذكره أن عدد أبنائه الذكور الذين كانوا معه في قندهار تسعة أبناء، حتى لحظة مغادرتي أفغانستان، واذا أضفنا عبد الله وعلي فان عددهم يصبح 11 ولدا، من جميع زوجاته ما عدا زوجته اليمنية الأخيرة، أما البنات فلا أعرف عددهن لعدم امكانية ذلك.

■ وكيف كان يعيش بن لادن حياته العامة مع أسرته وأولاده خارج البيت؟ أم لم تكن هناك مساحة في حياته للاسترواح؟

■ بالنسبة للتنزّه والاسترواح خارج البيت كان الشيخ أسامة في بعض الأحيان يخرج الى البراري خارج مدينة قندهار مع جميع زوجاته وأطفاله الصغار، وكنت وحمزة الغامدي وأخ ثالث يمني الوحيدين الذين يسمح لهم بمرافقته في هذه النزهة، فيركب هو معنا في سيارته الخاصة، ويركب أفراد أسرته في حافلة خاصة بهم، ويلتحق به أولاده الكبار بالخيول، رغم أن المسافة كانت على بعد نحو ساعة زمنية بالسيارة، وهناك كان يجلس مع زوجاته وكنا نأخذ السيارة الى مكان بعيد، بحيث لا نستطيع رؤيته ولا يستطيع رؤيتنا، ويبقى التواصل بيننا وبينه عبر جهاز المخابرة اللاسلكي، وكان يعلّم الحراسة موزعة على جميع أركان وزوايا البيت.

■ هل كان هذا الوضع بعد زواج بن لادن من الفتاة اليمنية، أمل السادة، أم بعد ذلك؟

■ لا، هذا الوضع كان قبل زواجه من زوجته اليمنية، وهي الرابعة، وهذا الوضع كان الى ما قبل رجوعي لليمن للزواج هناك، وزوجة الشيخ اليمنية ذهبت الى أفغانستان بعد مرور سنة من زواجي.

■ هل كان جميع أولاد بن لادن يعيشون معه في أفغانستان؟

■ نعم، باستثناء ابنه البكر عبد الله واثنين من زوجته السابقة أم علي التي طلقها أثناء تواجده في السودان، ورجعت الى السعودية مع ولديها نجلي أسامة بن لادن وهما علي وشقيقة له؛ أما ابنه البكر عبد الله فقد رجع الى السعودية بعد التنسيق مع أعمامه والأسرة الحاكمة في السعودية، من أجل أن يرجع ويستقر في السعودية.

■ لما ذا رجع ابنه البكر للسعودية وترك خطى والده الجهادية؟

■ رجع الابن الأكبر للشيخ أسامة وهو عبد الله الى السعودية، لأن وجهة نظره كانت لا تتطابق ووجهة نظر أبيه، حيث كان يرى أنه من أسرة ثرية وبالتالي من حقه الاستمتاع برغد العيش وبالثروة التي تمتلكها أسرته، وهي النظرة المناقضة تماما لوجهة نظر أبيه. حتى أن الشيخ أسامة كان لا يذكر اسمه أبدا، ولا يذكر قصته، من كثرة ألمه منه، حيث كان يتمنى أن يكون ابنه البكر معه ومساندا له، ولكنه رغم ذلك احترم خصوصية ابنه وخصوصية توجهه، فسمح له بالعودة للسعودية، عندما قرر ذلك.

■ وماذا بشأن زوجاته، ألم تسمعوا تذمرا منهن، لحالتهن المعيشية القاسية معه، وهل حاولن التمرد عليه كما فعل ابنه البكر؟

■ حصل هذا مرة واحدة فقط من احدى زوجاته وهي أم علي، التي طلبت من الشيخ أسامة الطلاق عندما كان مازال يعيش وأسرته في السودان، وبررت ذلك بأنها لا تستطيع العيش معه في ظل الحياة الصعبة وهذا الوضع القاسي، فاحترم طلبها وأكرمها بالطلاق، من قبيل الآية الكريمة «فامساك بمعروف أو تسريح باحسان»، ولكن ثبتت معه بقية زوجاته حتى الآن، رغم أنهن من أسر كبيرة ويحملن مؤهلات علمية عالية، وأذكر أن زوجته أم حمزة وأم خالد تحملان شهادات الدكتوراه، أحدهن في اللغة العربية والأخرى في الشريعة الاسلامية.

■ هل جميع زوجات بن لادن اللواتي صمدن معه من أصول سعودية؟

■ واحدة من سورية، من أسرة والدته، واثنتان من السعودية، وأما زوجته الأخيرة الرابعة بعد طلاقه أم علي فهي من اليمن. وقد تزوج زوجته الأولى أم عبد الله السورية الأصل عندما كان مازال في العشرينات من العمر، أما بقية زوجاته فقد تزوجهن جميعا بعد بدء حياته الجهادية. واعرف أن زوجته أم خالد من بيت الشريف وكانت شقيقة لأحد رفقائه في الجهاد، حيث عرض عليه الزواج منها فوافق.

زوجة يمنية

■ وما ذا بشأن زوجته اليمنية، يقال أنه كان لك دور في ترتيب زواجه منها؟

■ بالنسبة لزواج الشيخ أسامة من زوجته الأخيرة اليمنية أمل السادة، فقد قام بالتمهيد الأولي لذلك أخ يمني، لم أتمكن من التعرف عليه، وكانت مهمتي في ذلك فقط أخذ مبلغ المهر من الشيخ أسامة وايصاله لأهل العروس، حيث أعطاني الشيخ مبلغ خمسة ألف دولار وقال لي سلّمه الى فلان في اليمن، وهو الذي أوصلها لأسرة العروس، ولم أكن اعرف حينها أن هذا المبلغ هو مبلغ المهر لعروس الشيخ أسامة، ولم أعرف ذلك الا بعد فترة، وعندما قررت العودة الى أفغانستان طلب مني الأخوة أخذ عروس الشيخ أسامة مع محارمها معي، وتأخرت لذلك الغرض أكثر من شهرين في اليمن، اضطررت بعدها السفر الى أفغانستان لعدم قدرتي الصبر أكثر من ذلك، فلحقوني بعد ذلك بشهر، وأقمنا للشيخ حفلة عرس رائعة في قندهار، شارك فيها الجميع بما في ذلك أولاده وزوجاته، وامتزجت فيها الأناشيد والأهازيج الحماسية بأصوات الرصاص.

■ هل أنجبت منه زوجته اليمنية أطفالا؟

■ في الحقيقة غادرت أفغانستان بعد وصول زوجته اليمنية بنت السادة الى قندهار بحوالي أسبوع، وكانت تلك مغادرتي النهائية، ولكني فيما بعد سمعت أنها أنجبت له بنتا.

■ مع حدوث كل هذه الملاحقات لأسامة بن لادن وعناصر تنظيم (القاعدة) هل سمعت أن زوجاته بقين معه أم رجعن الى أوطانهن؟

■ بعد خروجي النهائي من أفغانستان الذي كان قبل حادث تفجير المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن عام 2000 بحوالي شهرين، سمعت أن جميع زوجاته بقين معه في أفغانستان ما عدا زوجته الأولى أم عبد الله التي خرجت قبل الأحداث ولم تستطع الرجوع مرة أخرى.

■ كم عدد أبناء أسامة بن لادن من جميع زوجاته؟

■ لا أعرف ذلك على وجه الدقة، لكثرتهم، ولكن الذي أذكره أن عدد أبنائه الذكور الذين كانوا معه في قندهار تسعة أبناء، حتى لحظة مغادرتي أفغانستان، واذا أضفنا عبد الله وعلي فان عددهم يصبح 11 ولدا، من جميع زوجاته ما عدا زوجته اليمنية الأخيرة، أما البنات فلا أعرف عددهن لعدم امكانية ذلك.

■ وكيف كان يعيش بن لادن حياته العامة مع أسرته وأولاده خارج البيت؟ أم لم تكن هناك مساحة في حياته للاسترواح؟

■ بالنسبة للتنزّه والاسترواح خارج البيت كان الشيخ أسامة في بعض الأحيان يخرج الى البراري خارج مدينة قندهار مع جميع زوجاته وأطفاله الصغار، وكنت وحمزة الغامدي وأخ ثالث يمني الوحيدين الذين يسمح لهم بمرافقته في هذه النزهة، فيركب هو معنا في سيارته الخاصة، ويركب أفراد أسرته في حافلة خاصة بهم، ويلتحق به أولاده الكبار بالخيول، رغم أن المسافة كانت على بعد نحو ساعة زمنية بالسيارة، وهناك كان يجلس مع زوجاته وكنا نأخذ السيارة الى مكان بعيد، بحيث لا نستطيع رؤيته ولا يستطيع رؤيتنا، ويبقى التواصل بيننا وبينه عبر جهاز المخابرة اللاسلكي، وكان يعلّم زوجاته في ذلك المكان الضرب بالأسلحة الخفيفة ويلعبون مع بعض ويمارسون بعض الرياضات الخفيفة، فكان يمارس حياته العائلية بشكل طبيعي جدا.

خلاف بين بن لادن وابنه البكر عبدالله

■ أين كانت تنتهي مسؤوليتكم في الحراسة الشخصية لبن لادن؟

■ كانت مسؤوليتي تنتهي عند باب البيت الذي يسكنه، وفي بعض الأحيان كان أبناؤه يعملون معنا ضمن مجموعة الحراسة، وكانت مسؤوليتهم تبدأ من باب البيت باتجاه الداخل؛ حيث كنا عندما نصل بالشيخ الى باب البيت ندعو أبناءه ونقول لهم يا الله استلموا مهمتكم ونبقى نحن في البوابة ومجموعة

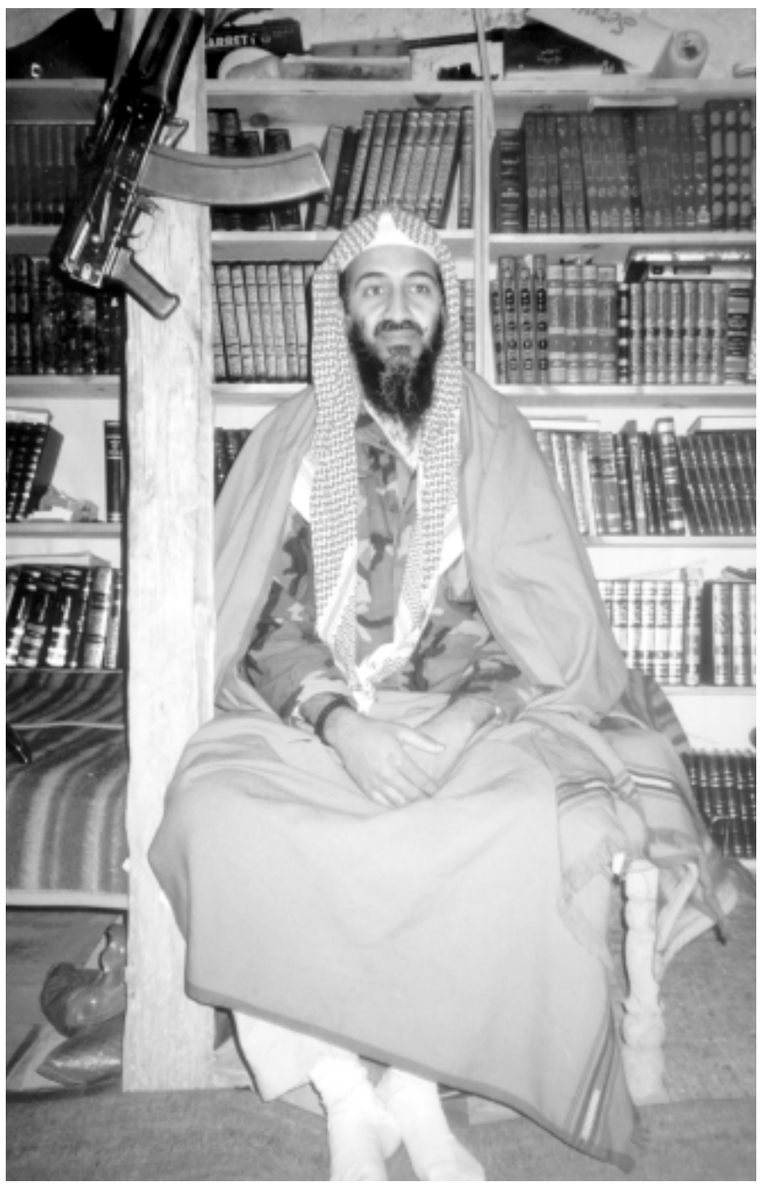

عشق الخيول

■ ظهر أسامة بن لادن أكثر من مرة ممتطيا لحصانه، فهل كان يحب ركوب الخيل كثيرا ويمارس هذه الرياضة كثيرا؟

■ كان خيّالا ماهرا، يحب الخيول ويمارس ركوب الخيل ولكن ليس بشكل يومي، فقد عهدته صاحب خبرة ممتازة بالخيول، يفهم في أصالتها وفي نوعيتها من خلال نظرة عابرة لها، ربما بحكم الثراء واتصاله بالأسرة الحاكمة في السعودية أثناء تواجده هناك، حيث أفراد الأسرة الحاكمة يعشقون الخيول ويحبون سباق الخيول، وكان أيضا من بين آل بن لادن من يحب الخيول، لكن الشيخ أسامة كان يحبها من منطلقات أخرى، من منطلق ديني بحت، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة». فكان بن لادن يحبها من هذا المنطلق، فكان في بعض الأحيان يعمل سباقات في ركوب الخيل بين شباب التنظيم، حتى أنه في احدى المرات جاء الي وقال لي: «هل تعرف تركب الخيل يا أبا جندل؟» فأجبته «أعرف أقود كل شيء الاّ الخيل، فاني لا أجيد ذلك»، فقال لي: «يا عيباه». وألزمني بأخذ دورة في ركوب الخيل، الا أني تهربت من ذلك ولم أكملها.

■ هل هناك مواقف مؤثرة لمستها خلال معايشتك لأسامة بن لادن؟

**■ من المواقف التي عايشناها مع الشيخ أسامة، زاره في أحد الأعياد وفد رسمي من حركة طالبان بعد عودتهم من السعودية، برئاسة رئيس وزراء الدولة الملا محمد حسن رباني، وفي بداية زيارتهم للشيخ أسامة رغبوا في التعرف على الحاضرين معه هذا اللقاء، فبدأ الأخوة يُعرِّفون بأنفسهم: أنا فلان المصري، أنا فلان الجزائري، أنا فلان المصري، فلان العراقي وفلان المغربي. فنظر الملا رباني لابن لادن وقال له يا شيخ أسامة لم نسمع أحد من هؤلاء يقول انه من أبناء الخليج، والسعوديون قالوا لنا انه لا يوجد عندك أحد من أهل الأرض، أو من أهل القضية، وكل الذين حولك عبارة عن مجموعة من المصريين، وليسوا من السعودية أو من الجزيرة العربية. فاستفزه هذا الطرح وقال كيف ما عندي أحد من أهل الجزيرة، فالتفت فاذا بأحد الشباب كان واقفا على باب الغرفة التي كانوا مجتمعين فيها وقال له أدع اخواننا العرب، فدعاهم وكانوا في حالة انتشار وعددهم يتجاوز السبعين شخصا، فأقبلوا عليه وبدأ بالتعريف بهم، فلان المكي، فلان المدني، فلان اليمني، فلان من أهل جدة، فلان من أهل الرياض، فلان من ..... فتغيّر الموقف تماما حتى أن الأخوة المصريين ضاعوا بين أبناء الجزيرة، ودمعت عينا الملا محمد حسن رباني لذلك الموقف، وقال هؤلاء كلهم من أبناء بلاد الحرمين، فأكد للشيخ أسامة حماية طالبان له ولأتباعه، رغم الضغوط السعودية على الحركة، وقال له ما دام أن هؤلاء جميعهم معك فأنت معك رجال ولست بحاجة لنا، ومع ذلك نعتبر أنفسنا أنصارا لكم؛ فكانت هذه الكلمات مؤثرة بك لها الشيخ أسامة ومعظم الشباب الحاضرين، وكان هذا الموقف من المواقف المؤثرة التي رأيت فيها الشيخ أسامة منفعلا، وكان انفعاله نابعاً ليس من